

محمد ﷺ

محمد ﷺ

محمد ﷺ

الحج رموز و حكم (٦)

الشيخ عبدالله جوادي آملی

الحجر الأسود

السّرّ في تشبيهه الحجر الأسود

بمقام الرسول الأكرم ﷺ

تضم الكعبة المطهرة أربعة أركان و ترتيبها حسب الطواف كما يلي: ركن الحجر الأسود، الركن العراقي، الركن الغربي والركن اليماني. والمسافة بين الحجر الأسود وباب الكعبة تُعرف بـ «الملتزم». قال الإمام الصادق عليه السلام: «هو الموضع الذي تاب الله فيه على آدم»^(١) و«المستجار» موضع يقع إلى جانب الركن اليماني، بمحاذاة الملتزم، حيث يتعلق الزائرون بأستار لطف الله تعالى. وقد عبّر أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام عن سرّ التعلق والتشبث بأستار الكعبة ومعنى ذلك بقوله: «هو مثل رجل له عند آخر جناية وذنبٌ فهو يتعلّق بثوبه يتضرّع إليه ويخضع له أن يتجافى له عن ذنبه»^(٢).

يقع الحجر الأسود إلى يسار الزائر

الذي بإزاء باب الكعبة ومقام إبراهيم عليه السلام على يمينه (وإن كان مقام إبراهيم يقع الآن خلف الزائر المفترض) ولكن بالنسبة للكعبة نفسها، فلو افترضنا أن وجه الكعبة يقع قبالة الناس وجهاً لوجه من الجدار الذي يقع في باب الكعبة، فإن الحجر الأسود يقع إلى يمين بيت الله الحرام ومقام إبراهيم إلى يساره.

يقول الإمام الصادق عليه السلام مبيناً سرّ الأمر المذكور، مجيباً على هذا السؤال: لماذا يستلم الناس الحجر الأسود و الركن اليماني من بين أركان الكعبة فقط؟ فقال: لأنها بمنزلة يمين عرشه^(٣) و الله سبحانه وتعالى أمر باستلام كل ما هو على يمين عرشه.

ثم قال مجيباً عن السبب في وقوع مقام إبراهيم على الجانب الأيسر: لأن «لكل من النبي إبراهيم عليه السلام و الرسول الأكرم ﷺ مقاماً خاصاً في يوم القيامة، ومقام محمد ﷺ عن

يمين عرش ربنا عزوجل و مقام إبراهيم عليه السلام عن شمال عرشه...»^(٤).
والحجر الأسود، هو المقام الذي يستند إليه الإمام المهدي عليه السلام عندما يبایعه الناس، في بداية ثورته العالمية لبسط العدالة. وكما عبر الإمام الصادق عليه السلام عن ذلك قائلاً: «...وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره، و هو الحجة و الدليل على القائم، و هو الشاهد لمن وافاه في ذلك المكان، والشاهد على من أدّى إلى الميثاق والعهد الذي أخذ الله عزوجل على العباد»^(٥).

نزول الحجر الأسود من الجنة

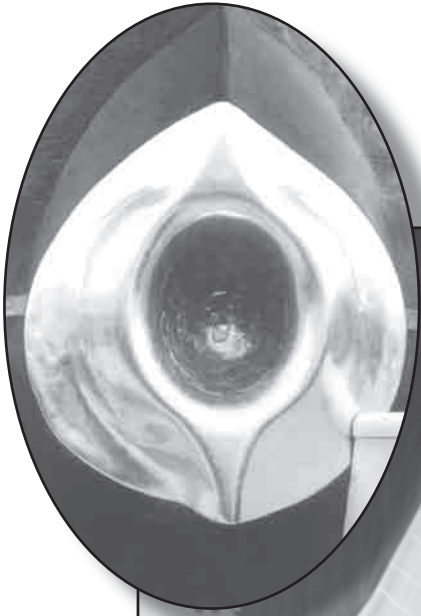
بناءً على ما جاء في بعض الروايات، فإن الحجر الأسود قد نزل من الجنة، وكان في البداية أبيض اللون، واسودّ تدريجياً على أثر استلامه من قبل المذنبين، حتى أصبح كما هو عليه الآن: «... كان

ملكاً من عظماء الملائكة عند الله...»، «إنّ الحجر كان درّةً بيضاء في الجنة...»، «... وكان أشدّ بياضاً من اللبن فاسودّ من خطايا بني آدم، ولولا ما مسّه من أرجاس الجاهلية ما مسّه ذو عاهةٍ إلا برأ»^(٦).

بعض المفسرين الذين يبحثون عن تبرير أو تفسير مادي لأي ظاهرة من الظواهر، قالوا في معرض نفيهم لهذا النوع من الروايات: نزول الحجر من السماء أو الجنة، لا معنى له!!^(٧).

وفي الردّ على هذا الكلام و نقده لا بد من القول^(٨): ما يؤيد الروايات التي تدور حولها بعض الإشكالات، الآيات التي ورد الحديث فيها عن إنزال النعم الإلهية من خزائن الغيب، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(٩)، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

مِيقَاتُ الْحَجَّ



وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴿١٠﴾ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴿١١﴾ فكلمة «الإنزال» ليست بمعنى الخلق، بل هي بمعنى التنزيل والإنزال الواقعي من وراء الطبيعة إلى عالم الطبيعة كنزول القرآن في ليلة القدر. ولكن المراد هنا، الإنزال على نحو التجلي، و ليس بصورة التجافي، مثل نزول الثلج والمطر. أي لايعني الأمر نفاذ المخازن الإلهية و خلؤها من الموجودات، بعد تنزيلها إلى عالم الطبيعة من العالم الأعلى؛ لأن خزائن الله لايعتربها النقصان أو النفاذ؛ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (١٢). والوجود الغيبي لهذه الأشياء وجود نوراني وتحمل ذلك أمرٌ غير ميسور للجميع. من هنا فإن ظهورها في هذه النشأة اقترن بتنزل مرتبتها الوجودية. ولكن حرمة و كرامة الموجودات المتنزلة

من الخزائن الإلهية واحدة بلحاظ تباين درجات تلك الخزائن. مثلما يعتبر الحجر الأسود حالة خاصة.

وبناءً على ذلك، فإن مجرد الاستبعاد العلمي لمسألة هبوط الحجر الأسود من الجنة لا قيمة له؛ لأن دراسة السير الأفقي للموجودات و ماضيها و حاضرها و مستقبلها الطبيعي يتم في نطاق العلوم الطبيعية، ولكن السير العمودي للأشياء والموجودات والنقاش حول العلة الفاعلية و الغائية لها تقع خارج نطاق العلوم الطبيعية، مهما توصلت هذه العلوم إلى تطورات ملحوظة في هذا الجانب.

ونستنتج من ذلك أولاً: إن الحجر الأسود من أحجار الجنة والسماء، كما ورد ذلك في العديد من الروايات المعتبرة.

ثانياً: لا يوجد دليل عقلي أو نقلي يدل على خلاف ذلك.

مِيقَاتُ
الْحَجِّ

لحب رسول الله ﷺ لك، فقال عليه السلام: والحجر الأسود من الشهداء أيضاً يوم القيامة؛ «فوالله ليعثته الله يوم القيامة و له لسان و شفطان فيشهد لمن وافاه»^(١٥)، كما أكد الإمام الصادق عليه السلام في رده على ذلك الظن فقال: «كَذِبَ ثُمَّ كَذَبَ ثُمَّ كَذَبَ. إِنَّ لِلْحَجَرِ لِسَانًا ذَلِكَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْهَدُ لِمَنْ وَافَاهُ بِالْمُؤَافَاةِ»^(١٦).

تنبيه: هذا النوع من الأحاديث المأثورة، والتي تصرّح بمنفعة الحجر الأسود ونحوه، يعود إلى كونه وسيلة ذات تأثير معين و الذي تجسّد بلطف الله و بركاته على هذا الحجر، و عدا ذلك فإن أيّاً من أحجار الكعبة وأمثالها ليست ضارّة بذاتها أو نافعة، كما عبّر أمير المؤمنين عليه السلام بشأن سلب تأثيرها الذاتي فقال عليه السلام: «... أحجار لا تضرُّ و لا تنفع و لا تبصر و لا تسمع»^(١٧).

وبناءً على ذلك، فإن إثبات المسائل الاعتقادية على الرغم من أنه لا يمكن أن يتحقق بالاستناد إلى الخبر الواحد، ذلك أنها تحتاج إلى القطع واليقين ولا يمكن الاكتفاء فيها بالظن، لكن بالمقابل لا يوجد أي وجه لإنكار تلك الروايات و رفضها.

شهادة الحجر الأسود يوم القيامة

الحجر الأسود كالمسجد، يشهد يوم القيامة لصالح البعض، و هو آية من آيات الله البينات إلى جانب الكعبة^(١٣)، ويمين الله عز وجل في الأرض واستلامه بمنزلة البيعة لله تعالى؛ «هو يمين الله عز وجل في أرضه يبائع بها خلقه»^(١٤).

وكما قال أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في رده على من قال عند استلام الحجر: أعلم بأنك لا تضر و لا تنفع ولكني أحبك

أحطيم و حجر إسماعيل

«الحطيم» منطقة محدّدة بين الحجر الأسود، وباب الكعبة و مقام إبراهيم عليه السلام، ولكن قيل في بعض الروايات، بأنها المسافة بين الحجر الأسود وباب الكعبة فقط^(١٨). وحول السرّ في تسمية هذا المكان بالحطيم، قال الإمام الصادق عليه السلام: «لأنّ الناس يحطم بعضهم بعضاً»^(١٩).

والحطيم أفضل الأماكن حول الكعبة؛ فبعد أن ذكر الإمام الباقر عليه السلام حدوده قال موضحاً هذه القضية المتعلقة بالحطيم: «إنّ أفضل البقاع ما بين الركن الأسود و المقام و باب الكعبة، و ذاك حطيم إسماعيل، و والله لو أنّ عبداً صفّ قدميه في ذلك المكان و قام الليل مصلياً حتى يجيئه النهارُ و صامَ النهار حتى يجيئه الليل و لم يعرف حقننا و حرمتنا أهل البيت، لم يقبل الله منه شيئاً أبداً»^(٢٠).

والحطيم محل نزول جبرئيل عليه السلام و وقوفه بين يدي بقية الله الأعظم إمام العصر و الزمان عليه السلام. كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «عندما يأذن الله سبحانه و تعالى بخروج القائم عليه السلام ... يبعث إليه جبرئيل عليه السلام؛ فيهبط جبرئيل على الحطيم... و يقول: أنا أوّل من يبايعك...»^(٢١).

ويقول الأستاذ العلامة الطباطبائي رحمته الله كغيره من المحققين: الحطيم هو ذلك الجدار المقوس إزاء الميزاب الذهبي^(٢٢). كما يفهم من بعض الروايات أن جماعة يسمّون «حجر إسماعيل» الذي يقع بين الركن العراقي و الركن الغربي بالحطيم. و هذا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في جوابه للسائل الذي سأل عن حجر إسماعيل، فقال عليه السلام:

«إنّكم تسمونه الحطيم، و أنّما كان لغنم إسماعيل، و أنّما دفن فيه أمّه و

مِيقَاتُ
الْحَجِّ

كرة أن يُوطأَ قَبْرَها فحَجَرَ عليه، و فيه قَبورُ أنبياء»^(٢٣).

ومن بين الوجوه المحتملة بشأن السرِّ في تسمية الحطيم بهذا الاسم، والذي أُشير إليه أيضاً في الرواية المذكورة، أن النبي إبراهيم عليه السلام كان يهشم ^(٢٤) التبن والعلف هناك لإطعام أغنامه، ويسمّون العلف بالحطيم والتبن بالحطام؛ لأن المخطوم هو الذي تم تهشيمه وتكسيه. ونقلت في بعض الكتب اللغوية وجوه أخرى أيضاً في سبب تسمية حجر إسماعيل بالحطيم. وفيها: أن هذا الجزء قد فُصلَ وكُسِرَ عن البيت. والآخر أن الأعراب في الجاهلية، كانوا يلقون الملابس التي كانوا يلبسونها حال الطواف في ذلك المكان وكانت تتحطم و تبلى تدريجياً^(٢٥).

«حجر إسماعيل» الذي يعدّ من آيات الله البينات^(٢٦)، هو مدفن إسماعيل ومجموعة أخرى من

أنبياء الله^(٢٧)، و هو مدفن أم إسماعيل و بناته عليهن السلام، و قد حجرت عليهن السلام أطراف قبر أمه هاجر كي لا يطأه الطائفون^(٢٨)، و حجر إسماعيل ليس قبلة ولكنه في ضمن المطاف كالكعبة، احتراماً لتلك القبور، و الطواف في داخله باطل.

وحجر إسماعيل من أفضل الأماكن في المسجد الحرام لأداء الصلاة فيها^(٢٩). كما كان المكان الذي يصلي فيه شبر و شبير أولاد هارون عليهما السلام^(٣٠)، و صلّى فيه الأئمة المعصومون عليهم السلام أيضاً^(٣١)، وكانوا يدعون الله فيه بخالص الدعاء^(٣٢). كما كانوا يستقبلون الناس هناك و يجيبون على أسئلتهم واستفساراتهم^(٣٣). و قد نصب ميزاب الكعبة فوق حجر إسماعيل. وقد ورد الحديث في بعض الروايات، عن الشفاء بماء المطر الذي ينزل من هذا الميزاب^(٣٤). وآخر الكلام عن حجر إسماعيل أنه

يستحب للحجّ أن يُجرَم منه.

رؤيتها و قراءتها من قبل الجميع
بكل وضوح، مما يدل على حُسن
تدبير المسؤولين عن الحرم.

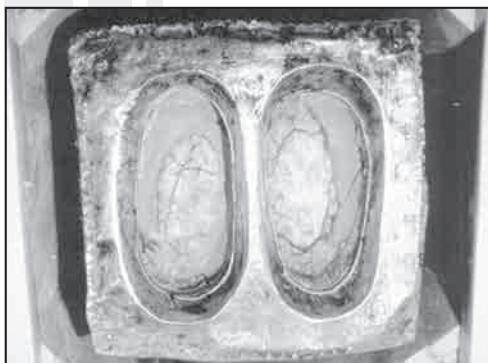
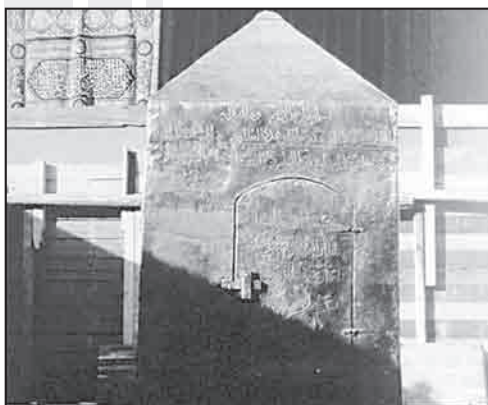
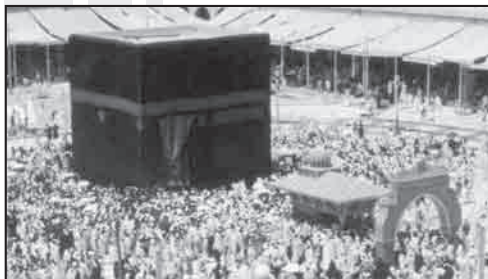
مقام إبراهيم عليه السلام

إحدى العلامات والآيات البيّنات
لله تعالى في مكة «مقام إبراهيم».
مثلاً أشار الإمام الصادق عليه السلام في
بيان المراد من كلمة «بيّنات» في
الآية المباركة: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾^(٣٥)،
فقال عليه السلام: «مقام إبراهيم حيث قام
على الحجر فأثرت فيه قدماه، والحجر
الأسود، و منزل إسماعيل عليه السلام»^(٣٦). و
كان هذا الحجر موضوعاً في البداية
على وجه الأرض بشكل طليق إلى
جوار الكعبة. ثم وضعوه في الملتمزم
لكي لا ينقل من مكانه. و موضع
المقام الآن مُبرَزٌ أيضاً وموضوع
بداخل صندوق معدني، ومنقوش
على جبهة الشريط المعدني الذي
وضع الحجر على حافته جملة
نورانية تقول: ﴿وَ لَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا
وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٣٧) حيث يمكن

مسألة تغيير مقام إبراهيم وردت
في بعض الأحاديث؛ حيث قال الإمام
الباقر عليه السلام:

كان المقام في البدء، بالقرب في
جدار الكعبة. و قاموا بنقله قبل
الإسلام إلى موضعه الحالي. و أعاده
الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بعد فتح مكة
إلى موضعه الأصلي، ولكن تغيّر
مكانه مرةً أخرى في عصر الخلفاء:
«كَانَ مَوْضِعُ الْمَقَامِ الَّذِي وَضَعَهُ
إِبْرَاهِيمَ عليه السلام عِنْدَ جِدَارِ الْبَيْتِ فَلَمْ
يَزَلْ هُنَاكَ حَتَّى حَوَّلَهُ...». و لكن
بما أنّ الوضع الموجود أُقِرَّ من قبل
الأئمة المعصومين عليهم السلام ولم ينتقد أهل
بيت النبوة عليهم السلام ما يترتب على هذا
الوضع من حكم فقهي، نفهم من
ذلك أن إقامة صلاة الطواف عند
الموضع مبررة للذمة.

مِيقَاتُ
الْحَجِّ



وقد قال الإمام الباقر عليه السلام في صدر الرواية المذكورة: في السنة التي جرف فيها السيل المسجد الحرام كنت في مكة مع الإمام الحسين عليه السلام ^(٣٨). وخطب الإمام الحسين عليه السلام الناس الذين كانوا خائفين من زوال مقام إبراهيم عليه السلام قائلاً: اعلّموا! أنّ السيل لن يجرف مقام إبراهيم أبداً؛ لأن الله قد جعله علماً وآيةً له؛ «أنّ الله قد جعله علماً لم يكن ليذهب به» ^(٣٩).

الملاحظة الجديرة بالإشارة هنا أنه لا يمكن اعتبار جميع الآيات التي وردت بشأن مكة على أنها وردت من باب المعجزة وخلافاً للعادة والطبيعة، استناداً إلى هذه الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ بما فيها هذه الآية الشريفة؛ لأن المراد بالآية، ليس فقط المعجزة من قبيل معجزة ناقة صالح عليه السلام، و شق القمر ونحو ذلك، بل الآية بمعنى العلامة والأمانة التي تدلّ على الحق وتذكّر

الناس بذلك، سواء كانت تكوينية أم تشريعية أم كليهما معاً. وكما قال بعض المفسرين: إن جملة ﴿وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ هي من باب التفصيل بعد الإجمال ومصداق لآيات بينات مذكرة بالحق و من العلامات الإلهية، دون أن يكون في البين أمرٌ خارقٌ للعادة.

فإذا صار «مقام إبراهيم» بياناً لقوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، فإن المستفاد منه ما يلي: كما أن إبراهيم عليه السلام كان لوحده أمة؛ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾^(٤٠)، فإن آثار أقدامه و مقامه أيضاً لوحدهما آيات بينات و «أمة واحدة» في موضوع الإعجاز^(٤١). ولعل السر في التعبير بصيغة الجمع يتمثل في أنه:

أولاً: إن الحجر الصلد والقوي أصبح كالعجين في تغيير شكله. ثانياً: المكان المحدد لذلك أصبح على شكل العجين، و ليس كل الحجر.

ثالثاً: تقبله لآثار الأقدام إلى عمق معين والبقية بقيت بحالتها الصخرية.

رابعاً: بقي محفوظاً من سرقة جميع الطغاة الذين أرادوا إخفاء هذا الأثر ومحوه.

خامساً: بقي محفوظاً من سرقة سراق القطع الفنية والأثرية الذين هم بصدد سرقة المواد النفيسة ذات القدم و القدماء^(٤٢).

والذين يقولون بأن قوله تعالى: ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ إنما هو إشارة لآيات أخرى متعددة، وبالإضافة إلى مقام إبراهيم وجعل هذا البلد آمناً بسكانه و زائريه، فإنهم ذكروا أموراً أخرى أيضاً من الآيات العلنية لله سبحانه وتعالى في مكة و الحرم الإلهي، والتي لم يتم ذكرها بشكل منفصل بسبب وضوحها و عدم تصريح الله سبحانه وتعالى بها^(٤٣)؛

مِيقَاتُ
الْحَجِّ

أموراً من قبيل: ١- عدم تخليق الطيور فوق الكعبة و انحرافها أثناء الطيران عن فضاء الكعبة، ٢- عدم تلوين الطيور للكعبة، ٣- تعايش أنواع الحيوانات في الحرم و عدم تعرض الحيوانات المفترسة لغيرها، ٤- تورط الظلمة الذين أرادوا سوءاً بالكعبة و قهرهم من قبل الله تعالى، مثل أصحاب الفيل، ٥- عدم إصابة الحجيج بالتعب والإرهاق النفسي، على الرغم من مجيئهم من أماكن بعيدة و بصعوبة بالغة و بشكل متكرر أيضاً.

وبناءً على ذلك، ولغرض بيان أهمية مقام إبراهيم خاصة، فإن الله سبحانه وتعالى يذكر مقام إبراهيم ﷺ بشكل مستقل، من باب ذكر الخاص بعد العام، بعد ذكر الآيات الأخرى على وجه العموم.

كيفية تكوّن مقام إبراهيم

هناك عدة احتمالات بشأن كيفية تكوّن مقام إبراهيم ﷺ ومنها:

١- وقوف النبي إبراهيم ﷺ على هذا الحجر أثناء القيام ببناء الكعبة. وعن طريق الإعجاز الإلهي أصبح الحجر آنذاك ليناً وقابلاً لبروز الآثار عليه؛ فبقي أثر الأقدام عليه^(٤٤).

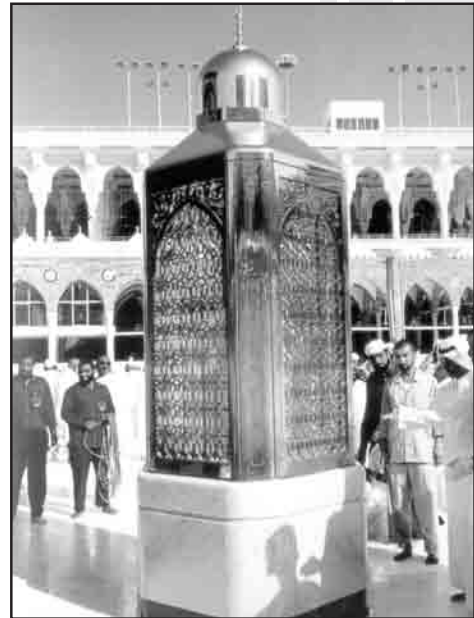
٢- عندما عاد للمرة الثانية إلى مكة قالت زوجة إسماعيل ﷺ: ترّجل كي أغسل رأسك، وعندما ترّجل ﷺ، وضع قدمه على الحجر وأحدث أثراً في ذلك الحجر^(٤٥).

وعلى أية حال، فإن حقيقة وضع إبراهيم ﷺ قدمه على الحجر الصلد وانغماس أثر قدمه المباركة و بقاء هذا الأثر في ذلك الحجر.. يعدّ من الأمور المسلم بها والتي اعتبروها معجزة له ﷺ^(٤٦).

وقد ورد ذكر مشابه لهذه الخاصية،

بشأن النبي داود عليه السلام، إذ إن الله سبحانه وتعالى جعل الحديد البارد الصلد بيده لينا كالشمع؛ ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ ^(٤٧). والملاحظة التي يجدر الإشارة لها هنا، أنه ورد حديث عن التعليم في مسألة صناعة الحديد؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ ^(٤٨)؛ لأن صناعة الدروع يمكن تعليمها و نقلها للآخرين كما هو الحال في سائر العلوم والمهن الأخرى، على العكس من عملية إلاتة الحديد البارد و القوي بواسطة اليد. ومن هنا لم يقل تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ إلاتة الحديد﴾. ويصدق هذا الأمر بشأن مقام إبراهيم عليه السلام أيضاً، مع وجود هذا الفرق حيث إن الحديث هنا يتعلق بـ «وَأَلْنَا لَهُ الْحَجَر».

وبقيت «آثار» كلتا قدمي إبراهيم عليه السلام المباركتين محفوظتين في مقام إبراهيم عليه السلام ^(٤٩) كما كان الحديد يحافظ على «بدن» داود عليه السلام.



مِيقَاتُ
الْحَجِّ

ملاحظة

يطلق أحياناً على الكعبة أيضاً^(٥٤).

زمزم

تدقق ماء زمزم بركة ذرية إبراهيم الخليل عليه السلام؛ لأنه عليه السلام ترك وليده وأمه هاجر بواحد غير ذي زرع وضرع في أرض مكة بأمر الله سبحانه وتعالى. وعلى أثر عطش الوليد، أخذت أمه تبحث عن الماء وتدعو وتنادي: «هل بالوادي من أنيس؟»، فأخذت تسعى بين الصفا والمروة سبع مرات ذهاباً وإياباً. وفجأة رأت تحت أقدام الوليد عيناً ينبع فيها الماء^(٥٥). ولا زال ذلك الماء يتدفق لحد الآن بعد مضي آلاف السنين عليه، على الرغم من أنه تم حفر آبار إضافية أخرى في ذلك الوادي، هذا أولاً، وثانياً: إن مكة ليس بلداً تسقط عليها الثلوج، كما أن أمطارها ليست غزيرة، لكي يصبح تدافع الماء من زمزم على أساس قوله تعالى:

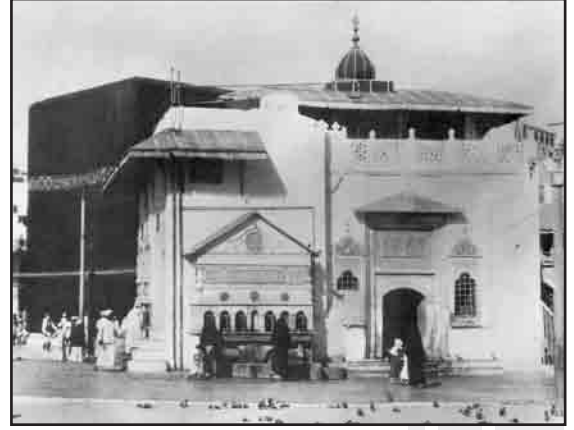
قال الإمام السجاد عليه السلام: «أفضل البقاع ما بين الركن والمقام...»^(٥٥) أي إن المسافة ما بين الركن (الحجر الأسود) إلى مقام إبراهيم، هي من أفضل الأماكن، وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «أن ما بين الركن والمقام لمشحون من قبور الأنبياء»^(٥٦). وهذا المكان، هو منطلق حركة الإمام الحجة عليه السلام العلية. ويقول الإمام الباقر عليه السلام بهذا الشأن: «كأنني بالقائم يوم عاشورا يوم السبت، قائماً بين الركن والمقام، بين يديه جبرئيل عليه السلام ينادي: البيعة لله. فيملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٥٧).

تنبيه

ومقام إبراهيم عليه السلام يطلق أيضاً على قطعة الأرض التي يقع فيها مقام إبراهيم عليه السلام في المسجد الحرام، وهي محل صلاة الطواف^(٥٨). مثلما

﴿فَسَلِّكهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٥٦).
 وبناءً على ذلك، فإن تدفق ماء زمزم
 واستمراره آلاف السنين على ذلك
 في بلدٍ مثل مكة، وما فيه من صفة
 الشفا وصيانتته من الفساد^(٥٧)، كل
 واحدة من هذه الأمور هي معجزة
 بحد ذاتها، لذا يمكن القول بأن
 زمزم هو مصداق لـ ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾
 لوحده؛

وقال الرسول الأكرم ﷺ :
 «ماء زمزم، أفضل ماء على وجه
 الأرض»^(٥٨)، وقال أيضاً:
 «ماء زمزم لما شُرب له؛ من شربه
 لمرضٍ شفاه الله أو لجوع أشبعه الله
 أو لحاجةٍ قضاها الله»^(٥٩). و كان
 يقول بعد شرب ماء زمزم: «اللهم
 إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً
 وشفاءً من كل داءٍ وسقم»^(٦٠). وقال
 الإمام الصادق عليه السلام بشأن الشفاء من
 ماء زمزم: «ماء زمزم شفاءٌ من كل
 داءٍ»^(٦١).



مِيقَاتُ
 الْحَجِّ

من هنا، يستحب استحباباً مؤكداً أن يشرب حجاج بيت الله الحرام من ذلك الماء، والتأسي برسول الله ﷺ بقراءة هذا الدعاء: «اللهم اجعله علماً...»^(٦٢).

وكان الرسول الأكرم ﷺ يستعمل ماء زمزم في مكة، وبعد أن هاجر إلى المدينة المنورة كان يستهدي ماء زمزم من الآخرين لشدة تعلقه به. ولهذا السبب كان الزائر يجلبون معهم ماء زمزم عند عودتهم من مكة هدية للرسول الأكرم ﷺ وكان يقبل منهم الهدية^(٦٣).

ملاحظة

من أسماء زمزم الأخرى، حفيرة عبدالمطلب، المصنونة والمصونة^(٦٤). والسرّ في تسمية بئر زمزم بالمصنون^(٦٥) أو المصون أنه في برهة من التاريخ و منذ أن استولت قبيلة خزاعة على مكة، دفنوا هذا البئر

وأخمدوه، إلى أن توّلى عبدالمطلب شؤون مكة وأمر بإعادة حفره^(٦٦) غارت البئر ولم ينبع منها الماء. إذن، فالسرّ وراء اشتهاها ببئر عبدالمطلب يعود إلى أن عبدالمطلب هو الذي أعاد فتح البئر وترميمه.

الصفاء والمروة

الصفاء والمروة اسمان لجبلين بالقرب من الكعبة. وهذان الجبلان من شعائر الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمُرُوءَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(٦٧).

والسرّ في تسمية الصفا بهذا الاسم أنه اكتسب تسميته من وصف الأنبياء وبخاصة آدم عليه السلام، وهم الذين اصطفاهم الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٦٨).

قال الإمام الصادق عليه السلام: بعد أن هبط آدم عليه السلام على جبل الصفا وهو من صفوة الله تعالى، فإنّ الجبل صفا

من صفوة الله واصطفاء آدم عليه السلام (٦٩).
وعليه؛ فإن الذي يكسب الصفا
من هذا الجبل هو من اصطفاه الله
تعالى: ﴿اللَّهُ يُصْطَفِي مَنِ الْمَلَائِكَةِ
رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (٧٠).

وقال الإمام الصادق عليه السلام بشأن
السرِّ في تسمية المروة بهذا الاسم:
بعد أن نزلت حواء عليها السلام وهي امرأة
على جبل المروة، سمي ذلك الجبل
«المروة» (٧١).

وقال بعض اللغويين: إن الصفا
حجر أملس (٧٢)، والمروة يطلق على
الحجر الناعم البراق، وتسمية
الجبليين بالصفا والمروة إنما هو
بلحاظ نوع أحجارهما (٧٣).

ونصب في الجاهلية اثنان من
الأصنام على قمة الصفا والمروة، و
اسمهما «أساف» (أثاف) و «نائلة» (٧٤)
حيث كان الناس يتمسحون بهما
تبركاً أثناء السعي (٧٥). ولهذا السبب
كان بعض المسلمين في صدر الإسلام

يتجنب السعي بين الصفا والمروة.
ولغرض إزالة هذا الوهم وتحاشيه
قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّفا
وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ
الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ
يَطُوفَ بِهِمَا﴾.

ومن هذا المنطلق فإن الصفا
والمروة كالكعبة؛ لأنهم جعلوا
الكعبة في الجاهلية مقراً لأصنامهم
غصباً، ولا ينبغي اعتبار ذلك مانعاً
للطواف حول بيت الله.

والصفا والمروة من الرموز العبادية
كسائر أماكن الحج ومناسكه؛ ﴿إِنَّ
الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾،
والشعائر جمع «شعيرة» بمعنى
العلامة. ولكن ليس معنى ذلك أن
الصفا والمروة، هما من العلام و
الرموز التكوينية للحق تعالى فقط؛
لأنه بلحاظ التكوين، تكون جميع
الموجودات من شعائر الله. فالصفا
والمروة مثلها كمثل الكعبة وعرفات

مِيقَاتُ
الْحَجِّ

والمشعر و منى، شعائر جعلية و
تشريعية و علائم عبادية.

عرفات

عرفات، منطقة خارج دائرة الحرم و
بالقرب من المشعر الحرام الذي يقع
فيه «جبل الرحمة» و «مسجد نمرة».
و الوقوف في هذه البقعة من ظهيرة
اليوم التاسع من شهر ذي الحجة
الحرام إلى غروبه واجب على الذين
عقدوا الإحرام لأداء حج التمتع، و
هو من أركان الحج.

و هناك عدة وجوه وردت حول
السرّ في تسمية هذه البقعة باسم
عرفات:

١- أن آدم و حواء عليهما السلام تعرّفا على
بعضهما البعض بعد الهبوط في
تلك البقعة ^(٧٦).

٢- أنهما اعترفا بذنبيهما في تلك
البقعة ^(٧٧).

٣- أن جبرئيل عليه السلام عند تعليمه

مناسك الحج لإبراهيم عليه السلام، قال له:
اعترف بذنوبك بين يدي الله في هذه
البقعة ^(٧٨).

٤- عندما طلب النبي إبراهيم عليه السلام
من الله سبحانه و تعالى أن يرّبه
مناسك الحج و يتعلّمها، ﴿أرنا
مَنَاسِكَنا﴾ ^(٧٩)، نزل جبرئيل عليه السلام إلى
أرض عرفات و كان مأموراً بتعليم
إبراهيم الخليل عليه السلام مناسك الحج،
فقال له: «هذه عرفات فاعرف بها
مناسكك و اعترف بذنوبك» ^(٨٠).

و بناءً على هذا الوجه، فإن سبب
تسمية تلك الأرض بعرفات أن
جبرئيل عليه السلام أشار إلى تلك الأرض
باسم عرفات.

٥- أن إبراهيم عليه السلام قد رأى في
المنام قبل يوم التاسع من ذي الحجة
أنه يذبح إسماعيل عليه السلام. و بعد أن
أفاق من نومه اعترته حالة من
التروّي و التفكير، فيما إذا كانت
هذه الرؤيا من الله و بمنزلة الأمر

السماوي أم لا؟!)

المشعر الحرام

يقع المشعر الحرام ومنى ضمن حدود الحرم في الحد الفاصل بين مكة و عرفات. و يفيض الجميع من عرفات باتجاه المشعر الحرام بعد غروب الشمس في اليوم التاسع من ذي الحجة في نهاية نصف يوم من الوقوف في عرفات ويمضون الليل هناك.

ويسمّون المشعر بـ «المزدلفة» و «جمع» أيضاً، وطبقاً لما ذكره الإمام الصادق عليه السلام فإن السرّ في تسمية تلك البقعة بـ «المزدلفة» يعود إلى أنّ جبرئيل عليه السلام في استمراره بتعليم المناسك لإبراهيم عليه السلام قال له: «يا إبراهيم! إزدلف إلى المشعر الحرام»^(٨٣). كما قال عليه السلام: «وسميت هذه البقعة بـ «جمع» ذلك أن آدم عليه السلام جمع بين صلاة المغرب والعشاء فيها، وصلى المغرب والعشاء فيها، وصلى كلاهما في وقت واحد»^(٨٤).

من هنا يسمى اليوم الثامن بـ «يوم التروية». وإن كان من المحتمل أن يكون السرّ في تسميته بيوم التروية أنه في ذلك اليوم كانوا يخزنون الماء لسقاية الحاج، لكي يسقون الحجيج بالماء في عرفات والمشعر ومنى. وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام فقال: «إنّ إبراهيم أتاه جبرئيل عند زوال الشمس من يوم التروية فقال: يا إبراهيم! ارتو من الماء لك ولأهلك. ولم يكن بين مكة و عرفات يومئذ ماء، فسُمّيت التروية لذلك»^(٨١).

وتكررت الرؤيا المذكورة لإبراهيم عليه السلام في ليلة التاسع من ذي الحجة مرة أخرى. وعليه فقد أصبح لزاماً عليه أن يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام. وتحققت هذه المعرفة في اليوم التاسع وفي أرض عرفات؛ ولهذا السبب سمي ذلك اليوم بيوم «عرفة» وسميت تلك الأرض بـ «عرفات»^(٨٢).

مِيقَاتُ
الْحَجِّ



ذي الحجة، يرد الحجيج إلى منطقة «منى» لأداء بعض المناسك الخاصة. و حدود منطقة منى تمتد من «العقبة» إلى «وادي محسر».

وحول مصدر تسمية هذه المنطقة باسم منى قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ جبرئيلَ عليه السلام أتى إبراهيمَ عليه السلام فقال: تمنِّ يا إبراهيم!» ^(٨٥). و قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «كانت أمنية إبراهيم عليه السلام والتي أعطاه الله إياها ابتداءً بأن يأمره الله سبحانه و تعالى بذبح كبشٍ بدلاً عن إسماعيلَ عليه السلام» ^(٨٦).

وطبقاً لما نقله الطريحي رحمته الله فإن

وعلى طول القرون الماضية يتوجه آلاف الزائرين إلى تلك البقعة، و كل زائر يأخذ على الأقل تسعاً وأربعين حصاة من ذلك المكان لرمي الجمرات. من هنا كان من آيات الله البنينات في أرض المشعر أن المنطقة على الرغم من أنها ليست مكاناً لحدوث الفيضانات و عبور السيول لكي يظهر بواسطتها الحصى الناعم، لكن مع ذلك توفر كل ذلك الحصى الناعم دائماً، ولم ينفد لحد الآن.

منى

مع شروق شمس اليوم العاشر من



بها، تسمى خيفاً^(٨٩).

يقول الفخر الرازي عن آيات الله سبحانه و تعالى في أرض مكة وبخاصة في منى: في كل عام يقوم ستمائة ألف شخص (في ذلك الوقت) برمي سبعين حصية في الجمرات، ولكن من كرامات هذه الأرض أنه لا يمضي وقت طويل حتى يعود التقاط الحصيات منها بعد أن تكون قد خلت منها^(٩٠). ولكن في السنوات الأخيرة يقوم موظفوا الدولة بتنظيف أطراف الجمرات وتسويتها، بينما لم يكن الأمر كذلك آنذاك.

منشأ تسمية منى بهذا الاسم، يعود إلى أن الدماء تمني وتراق في هذه البقعة. وكذلك فإن جبرئيل عليه السلام عند مفارقتة لأدم عليه السلام قال له: تمنّ شيئاً. فقال آدم عليه السلام: أتمنى الجنة^(٨٧). وتقع أماكن الجمرات الثلاث، ومكان التضحية ومسجد الخيف، في منى، و استناداً إلى بعض الروايات فإن سبعمائة نبي صلى في هذا المسجد^(٨٨). ويقع في مكان مرتفع نسبياً، ولهذا السبب سمي بـ «الخيف» طبقاً لما جاء في قول الإمام الصادق عليه السلام؛ حيث إنّ الأرض المرتفعة نسبياً عن الأراضي المحيطة

مِيقَاتُ
الْحَجِّ

الهوامش

١. وسائل الشيعة ٣: ٥٣٩.
٢. نفس المصدر ٨: ١٥٩ - ١٦٠.
٣. قال الرسول الأكرم ﷺ: «ما أتيت الركن اليماني إلا وجدت جبرئيل قد سبقني إليه يلتزمه». وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «الركن اليماني باب من أبواب الجنة لم يغلقه الله منذ فتحه». «الركن اليماني بابنا الذي ندخل من الجنة». «الركن اليماني على باب من أبواب الجنة مفتوح لشيعة آل محمد، مسدود عن غيرهم، ومامن مؤمن يدعو بدعاء عنده إلا صد دعاؤه حتى يلصق بالعرش ما بينه وبين الله حجاب». (وسائل الشيعة ٩: ٤١٩ - ٤٢٢).
٤. البحار ٧: ٣٣٩.
٥. الكافي ٤: ١٨٥.
٦. وسائل الشيعة ٩: ٤٠٣ - ٤٠٧.
٧. البحار ١: ٤٦٦ - ٤٦٨.
٨. الميزان ٢: ١٩٠ - ١٩٥.
٩. الحجر: ٢١.
١٠. الزمر: ٦.
١١. الحديد: ٢٥.
١٢. النحل: ٩٦.
١٣. وسائل الشيعة ٩: ٣٤٦.
١٤. المصدر نفسه: ٤٠٥ - ٤٠٦.

ويوجد في منى مسجدٌ يعرف باسم مسجد الكبش. والسرّ في تسميته بالكبش أن كبش الأضحية وفداء إسماعيل عليه السلام قد ذبح في ذلك المكان^(٩١).

وكان إلى جانب هذا المسجد صخرةٌ ذبح عليها الفداء المذكور^(٩٢). و نقل عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام أنّ ذبح الفداء كان بين الجمرة الأولى و الجمرة الوسطى على سفح الجبل المقابل، أي «جبل ثبير»، وليس في المكان السابق. وما يؤيد هذا النقل، رواية عن ابن عباس أنّه قال: ضحّى الرسول الأكرم ﷺ في الموضوع الذي ضحّى فيه إبراهيم عليه السلام فاتخذوه موضعاً للذبح، وكلّ أرض منى هي موضعٌ للذبح. وكان موضع ذبح أضحية الرسول الأكرم ﷺ بين الجمرة الأولى والوسطى^(٩٣).

١٥. المصدر نفسه: ٤٠٦.
١٦. المصدر نفسه: ٤٠٦.
١٧. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، الفقرة ٥٣
٥٤. وقد مرَّ ذكر نص هذا الحديث الشريف و ترجمته في الفصل الثالث من القسم الأول في موضوع «صورة الحج في الروايات». فراجع.
١٨. الكافي ٤ : ٥٢٥؛ وسائل الشيعة ٣ : ٥٣٩.
١٩. وسائل الشيعة ٣ : ٥٣٩.
٢٠. وسائل الشيعة ١ : ١٢٣.
٢١. البحار ٥٢ : ٣٣٧ - ٣٣٨.
٢٢. الميزان ٣ : ٣٦٠.
٢٣. وسائل الشيعة ٩ : ٤٣١.
٢٤. البحار ٦٥ : ٨٦.
٢٥. لسان العرب ١٢ : ١٣٧ - ١٤٠ (حطم).
٢٦. الكافي ٤ : ٢٢٣.
٢٧. وسائل الشيعة ٩ : ٤٣٠.
٢٨. الكافي ٤ : ٢١٠.
٢٩. الكافي ٣ : ٥٢٥؛ وسائل الشيعة ٢ : ٥٣٩.
٣٠. وسائل الشيعة ٢ : ٥٣٩.
٣١. الكافي ٤ : ١٨٨؛ وسائل الشيعة ٥ : ٢٧٤.
٣٢. الكافي ٧ : ٢١.
٣٣. المصدر نفسه ١ : ٢٦٠، ٣٧٩، و ٧ : ٢١ و ٨ : ٢٣٢ و ٢٧١؛ وسائل الشيعة ١٣ : ٤١٩.
٣٤. الكافي ٦ : ٣٨٧.
٣٥. آل عمران: ٩٧.
٣٦. الكافي ٤ : ٢٢٣.
٣٧. البقرة: ٢٥٥.
٣٨. كما مرَّ، فإن هذه الرواية بحاجة إلى تحقيق تاريخي من حيث مقدار عمر الإمام الباقر عليه السلام.
٣٩. الكافي ٢ : ٢٢٣.
٤٠. النحل: ١٢٠.
٤١. الكشاف ١ : ٣٨٧.
٤٢. المصدر نفسه: ٣٨٧ - ٣٨٨، مع قليل من التصرف.
٤٣. روضة المتقين ٤ : ١١٣ - ١١٤.
٤٤. المصدر نفسه: ١١٤.
٤٥. البحار ١٢ : ١١٦ - ١١٧.
٤٦. التبيان ١ : ٤٥٢؛ التفسير الكبير ٣ : ٥٠.
٤٧. سبأ: ١٠.
٤٨. الأنبياء: ٨٠.
٤٩. نقل عن أنس به مالك أنه قال: رأيت أثر أصابع و عمق القدم في الحجر، ولكن مُسح واستوى بسبب المسح بأيدي الناس (التحرير و التنوير ١ : ٦٨).
٥٠. من لا يحضره الفقيه ٢ : ٢٤٥.
٥١. الكافي ٤ : ٢١٤، ٢.
٥٢. البحار ٥٢ : ٢٩٠.
٥٣. المصدر نفسه ٩٦ : ٢٤١.
٥٤. التحرير و التنوير ١ : ٦٨١.



٥٥. استناداً لبعض الروايات، فإن إبراهيم عليه السلام هو الذي حفر بئر زمزم بأمر الله سبحانه وتعالى (الكافي ٤: ٢٠٢ (٢٠٣).
٥٦. الزمر: ٢١.
٥٧. من مجموع التجارب الفردية وما كان يقوم به المؤمنون وبخاصة خاتم الرسل عليهم السلام تجاه ماء زمزم وتقديمه كهدية، نلاحظ أن ذلك الماء غالباً ما كان يبقى لفترة طويلة من الزمن، لذا يمكن القول بأن ماء زمزم لا يفسد بسرعة.
٥٨. الكافي ٣: ٢٤٦.
٥٩. البحار ٥٧: ٤٥.
٦٠. الكافي ٤: ٢٥٠.
٦١. المصدر نفسه ٦: ٣٨٧.
٦٢. المصدر نفسه ٤: ٤٣٠.
٦٣. وسائل الشيعة ٩: ٣٥٠ - ٣٥١.
٦٤. المصدر نفسه: ٣٥١ و ٥١٥ - ٥١٦.
٦٥. «ضنَّ» بمعنى بخل و الشيء الثمين والنفيس إذا بخل به يسمى مضموناً.
٦٦. الكافي ٤: ٢١٨ - ٢٢٠.
٦٧. البقرة: ١٥٨.
٦٨. آل عمران: ٣٣.
٦٩. الكافي ٤: ١٩٠؛ البحار ١١: ١٦٢ و ١٦٩.
٧٠. الحج: ٧٥.
٧١. الكافي ٤: ١٩٠.
٧٢. لسان العرب ١٤: ٤٦٢ - ٤٦٤.
٧٣. لسان العرب ١٥: ٢٧٥ - ٢٧٦ (مرا).
٧٤. البحار ٩٦: ٢٣٥.
٧٥. الكافي ٤: ٤٣٥ «البقرة: ١٥٨».
٧٦. البحار ٤٤: ٢٤٢ و ٥٧: ٢٤٥.
٧٧. المصدر نفسه ١١: ١٦٨.
٧٨. المصدر نفسه ٤: ٣٠٧.
٧٩. البقرة: ١٢٨.
٨٠. الكافي ٤: ٢٠٧.
٨١. المصدر نفسه.
٨٢. الدر المنثور ٧: ١١١.
٨٣. البحار ٩٦: ٢٦٦.
٨٤. المصدر نفسه.
٨٥. البحار ٩٦: ٢٧١ - ٢٧٢.
٨٦. المصدر نفسه.
٨٧. مجمع البحرين ٣: ٢١٤.
٨٨. الكافي ٤: ٢١٤.
٨٩. البحار ٩٦: ٢٧١ - ٢٧٢.
٩٠. التفسير الكبير ٨: ١٥٩.
٩١. مرآة الحرمين ١: ٣٣٦.
٩٢. المصدر نفسه.
٩٣. المصدر نفسه.